

## حَوْلَ البَحْوثِ اللُّغَوِيَّةِ

لِلأَسَازِ مُحَمَّدِ العَدَنَانِي

لَمَّا كَانَ "مَعْجَمُ الأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ" قَدْ ظَهَرَ طَبْعَتُهُ الثَّانِيَّةُ، وَكَانَتْ الطَّبْعَةُ الأُولَى مِنْ "مَعْجَمِ الأَغْلَاطِ اللُّغَوِيَّةِ المُعَاَصِرَةِ" عَلَى وَشَكِّ الصَّدُورِ، وَدَفْعاً لِتَسْرُعِ أَحَدِ النُّقَادِ أَوْ القُرَّاءِ بِتَخْطِئَةِ كَلِمَةٍ مَا فِي هَذَيْنِ المَعْجَمَيْنِ، وَالمَعْجَمَيْنِ اللَّذِينَ سَيَصْدُرَانِ بَعْدَهُمَا، إِذَا مَدَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَبْلَ الأَجَلِ، فَأَنَا أَرْجُو أَنْ أَوْجَّهَ الأَنْظَارَ إِلَى ضَرُورَةِ قِرَاءَةِ مَقْدَمَةِ كُلِّ مَعْجَمٍ قِرَاءَةً دَقِيقَةً جِداً، قَبْلَ الشَّرُوعِ فِي قِرَاءَةِ المَوَادِّ اللُّغَوِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ يَجِدُونَ فِي كُلِّ مَقْدَمَةٍ جِوَاباً شَافِياً عَمَّا تَطْرَحُهُ عَلَيْهِمُ أَلْبَابُهُمْ مِنْ أَسْئَلَةٍ، تَوَقَّعَ المَوْلاُ أَنْ يَطْرَحَهَا القُرَّاءُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

هِنَالِكَ مِنْ يَطْلُبُ مِنَ البَاحِثِ اللُّغَوِيِّ أَنْ يُلِمَّ بِمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ كُتُبِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ وَالتَّارِيخِ، وَتَضَمَّ عَشْرَاتِ الأَلُوفِ مِنَ المَجْلَدَاتِ الضَّخْمَةِ، وَيَضَعُ مَعْجِماً مَفْصِلاً لِكُلِّ الكَلِمَاتِ وَالأَصْطِلَاحَاتِ الوَارِدَةِ فِيهَا، ثُمَّ يُقَدِّمُ عَلَى البَحْثِ اللُّغَوِيِّ. وَقَدْ فَاتَ أَوْلَئِكَ النَّاسَ أَنْ يَقُولُوا: "وَعَلَى البَاحِثِ اللُّغَوِيِّ أَنْ يُعَمَّرَ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ، لِيَتِمَّ مَعَاجِمُ تِلْكَ الكُتُبِ، وَإِنْ كُنَّا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْتَمِدَ عَلَى جُلِّهَا لُغَوِيًّا، مَا دُمْنَا قَدْ أَنْكَرْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الجَاهِلِيِّينَ كَلِمَاتٍ وَجُمَلًا وَأَبْيَاتًا تَقَوَّهُوا بِهَا مَخَالَفَةَ لِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ. وَقَدْ ذَكَرْتُ نَمُودِجَاتٍ مِنْ ذَلِكَ فِي مَقْدَمَةِ كِتَابِي "مَعْجَمُ الأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ". وَلَمْ يَنْجِ المَتَنَّبِي مِنْ أَخْطَاءِ لُغَوِيَّةِ حَسَابُوهِ عَلَيْهَا حَسَاباً عَسِيراً.

وَهِنَالِكَ مَنْ يَتَسَّرَعُ فِي إِطْلَاقِ أَحْكَامِهِ الجَائِرَةِ عَلَى المَعْجَمَاتِ العَرَبِيَّةِ، وَيَرَى فِيهَا نَقْصاً كَبِيراً، كَقَوْلِهِ إِنَّ المَعْجَمَ القَدِيمَ أَهْمَلَّ ذَكَرَ الفِعْلَ (شَاكَسَ)، مَعَ أَنَّ القُرْآنَ

الكريم وَرَدَ فِيهِ الْفِعْلُ (تَشَاكُسٌ)، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ ٢٩ مِنْ سُورَةِ الزَّمْرِ: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ، وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا). وَلَكِنَّ الْفِعْلَ (شَاكُسٌ) ذَكَرْتُهُ الْمَعْجَمُ الْقَدِيمَةُ وَالْحَدِيثَةُ كَمَعْجَمِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْغُبَابِ لِلصَّاعِي، وَالْقَامُوسِ لِلْفِيرُوزِ أِبَادِي، وَالتَّاجِ لِلزَّبِيدِي، وَمَدَّ الْقَامُوسِ لِأَدُورِدِ لِأَيْنِ، وَمَحِيطِ الْمَحِيطِ لِلْبِسْتَانِي، وَأَقْرَبِ الْمَوَارِدِ لِلشَّرْتُونِي، وَمَتْنِ اللُّغَةِ لِلسَّيِّدِ أَحْمَدِ رِضَا، وَالْوَسِيطِ لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ.

وَذَكَرَ أَنَّ جَمْعَ إِبِلٍ عَلَى آبَالٍ لَمْ يَرِدْ إِلَّا فِي مَعْجَمٍ وَاحِدٍ، فَعَثَرْتُ عَلَى خَمْسَةِ عَشَرَ مَصْدَرًا (مَعْجَمًا) آخَرَ تَجْمَعُهَا عَلَى آبَالٍ.

وَيَجْمَعُونَ كَلِمَةَ (أَوَّلٍ) عَلَى أَوَائِلَ وَأَوَالِي، مَعَ أَنَّ هُنَالِكَ ثَلَاثَةَ جُمُوعٍ أُخَرَ، هِيَ: الْأَوَّلُونَ، وَالْأَوَّلُ، وَالْأَلَى، أَنْكُرُوا وَجُودَهَا.

وَيَنْكُرُونَ وَجُودَ الْمَصْدَرِ (الْمُبَاحَثَةُ) الْقِيَاسِيَّ فِي الْمَعْجَمِ. وَلَكِنَّ مَدَّ الْقَامُوسِ ذَكَرَ هَذَا الْمَصْدَرَ، وَأَهْمَلَ الْمَصْدَرَ الْقِيَاسِيَّ الْآخَرَ (الْبِحَاثُ)، وَحَسَنًا فَعَلَ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ أَمَاتَهُ، كَمَا أَمَاتَ الْمَصْدَرَيْنِ الْقِيَاسِيَّيْنِ (الْخِطَارُ) وَ(الْبِرَاءُ) مِنَ الْفَعْلَيْنِ خَاطَرَ وَبَارَى.

وَيَنْكُرُونَ عَلَى الْمَعْجَمَاتِ إِهْمَالَهَا ذَكَرَ الْخُمُورِ وَالْبُقُولِ جَمْعًا لَخْمِرٍ وَبُقُولٍ. وَلَمَّا كَانَ جَمْعُ فَعُولٍ عَلَى فُعُولٍ قِيَاسِيًّا مِثْلَ بَحِثٍ وَبُحُوثٍ، وَلَمَّا كَانَ الْأَبُ أَنْسَتَاسُ مَارِي الْكِرْمَلِيَّ قَدْ أَحْصَى ٤٢ اسْمًا يُجْمَعُ فِيهَا (فَعُولٍ) عَلَى (فُعُولٍ)، وَجَمَعْتُ أَنَا - حَتَّى الْآنَ - ١٥٣ اسْمًا مِنْهَا، فَإِنَّ جَمْعَ (فَعُولٍ) عَلَى (فُعُولٍ) يَكُونُ قِيَاسِيًّا - وَالْمَعْجَمُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى ذِكْرِ الْجُمُوعِ الْقِيَاسِيَّةِ، وَلَا إِلَى مَنْ يَنْتَقِدُهَا عَلَى ذَلِكَ. وَقَدْ يَصِلُ عَدَدُ الْجُمُوعِ عَلَى وَزْنِ (فُعُولٍ) إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ٣٠٠ سَأَنْشُرُهَا كُلَّهَا فِي هَذِهِ الْمَجْلَةِ إِنْ شَاءَ

الله، وأؤيِّد بالأرقام في أنّ الأب أنستاس لا يمكننا الاعتمادُ عليه إحصائياً، لأنّني أظنّ أنّه اخترعُ الأرقامَ اختراعاً، معتقداً أنّ العربَ لن يظهرَ بينهم رجلٌ يُضيق من عمره بضعة أشهر لإحصاء عددِ جموعِ فَعَلٍ على: فَعُولٍ، وَأَفْعَالٍ، وَأَفْعُلٍ وَفِعَالٍ.

ويجيزون جمعَ الجوازِ على جَوَازاتٍ، لأنّ الجاحظ استعمل في إحدى رسائله كلمة (الجوابات)، ويُنكرون قولَ:

أ- الزمخشريّ في الأساس: "خُذْ جَوَازَكَ، وَخَذُوا أَجْوَزَتَكُمْ، وَهُوَ صَكَ الْمَسَافِرِ لئَلَّا يُتَعَرَّضَ لَهُ".

ب- والمطرزيّ في المغرب: "وَيُجَمَعُ الْجَوَازُ عَلَى أَجْوَزَةٍ".

ج- والزبيدي في التاج: "الجواز (كسحاب): صَكَ الْمَسَافِرِ، جَمْعُهُ: أَجْوَزَةٌ".

د- وأدورد لَيْن في مدّ القاموس، والشيرتونيّ في أقرب الموارد، والسيد أحمد رضا في متن اللغة، ومحمد علي النجار في لغويّاته، وجميعهم ذكروا أنّ جمعَ الجَواز هو: أَجْوَزَةٌ.

ه- ومجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه الوسيط: "الجواز: وثيقة تمنحها الدولة لأحد رعاياها، لإثبات شخصيّته عند رغبته السّفر إلى الخارج. والجمع: أَجْوَزَةٌ (المجمع)".

ومع ذلك يُصِرُّون على أنّ الجمع (الجوازات) هو الصّواب، ويُهْمِلون رأي المعاجم الكثيرة الموثّقة، ورأي مجمع القاهرة، ويتمسّكون بكلمة وردت في رسالة كتّبتها أديب غير معجمي، وينسّون أنّ لُحْجَةَ الإسلام الإمام أبي حامد الغزاليّ كتاباً طُبِعَ في مصر عام ١٣١٩هـ. عنوانه: "الأجوبة الغزاليّة في

## المسائل الأخروية.

واقترح آخرون أن نُطلق على جوازِ السَّفَرِ اسمَ (الفَسْحِ)، إذ جاء في القاموس والتَّاج: "الفَسْحُ شِبْهُ الجَوازِ، فَسَحَ له الأَمِيرُ في السَّفَرِ: كَتَبَ له الفَسْحَ". وجاء في المعجم الوسيط: "الفَسْحُ: جَوازِ السَّفَرِ". وأنصَحَ بهجَرِ هذه الكلمة كآلافٍ غيرها.

وَيَرَى أَحَدُ أولئك النُّقَّادِ أَنَّ الذي يُوَلِّفُ مُعْجَماً، عليه أن يذكر المصدر الذي أخذ منه كلَّ مادة من موادّه، ولو كُتِبَتْ بصورةٍ مختلفةٍ عن المصادر التي سبقَتْه إليها. وهذا الرُّأْيُ العجيب لم يستطع لُبِّي أن يهضمه، ولم أرَ أيَّ معجمٍ قديمٍ أو حديثٍ عمل به، لأنَّ المعجم يُفْتَرَضُ فيه إيرادُ جميع الموادِّ الخاصة بموضوعه، سواءً أكان غيره قد سبقه إليها أم لم يسبقه، على أن تُذكر في آخر المعجم أسماءُ جميع المصادر، التي استقى منها المؤلف مادَّتَه. هذا إذا لم يكن المعجم عامّاً ولُغَوِيّاً كمعاجم الأغلط اللغوية والمعاجم الطَّبِيَّةِ والزَّرَاعِيَّةِ وما شابهها. أما إذا كان المعجم عامّاً ولُغَوِيّاً كالمعجم الكبير والمعجم الوسيط وأشباههما فلا حاجة بمؤلفيها إلى ذكر أسماء مصادره.

وعلى الناقد أن يذكر مثلاً أن هنالك عدَّة طبعات لمعجم الفيروزآبادي القاموس، منها طبعة كلكتا، التي تختلف قليلاً عن الطبقات الأخرى في بعض المواد، ممَّا جعلنا مضطَّرين إلى الرجوع إلى تلك الطبعة، قبل أن ننكر وجود كلمة ما في الطبعة التي لدينا، كما فعل مؤلِّف مدِّ القاموس فأحسن.

وتُوجَدُ أحياناً طبعتان لمعجم واحد في بلد واحد، تختلف إحداهما عن الأخرى في بعض موادّها. وهنا علينا أن ننظر إلى تاريخ الطبعة التي استمدَّ منها

الكاتب مادته، وننتقدُه بعد ذلك إذا أخطأ في النقل.

وهناك كلمات تستعمل مخالفةً لما يقولُ به النُّحاةُ، فكلمة نموذج خماسية، لم تذكر لها المعاجمُ جمعَ تكسير، يفرضُ علينا النُّحاةُ أنْ نجمعها جمع مؤنثٍ سالماً، ونقول: نمودجات، ونخطئُ مَنْ يجمعها على: نماذج، ونجمع كلمة تمرين على تمرينات بدلاً من كلمة تمارين التي لم ترد في المعجمات.

ولما كان الوعاء الكبير يتسع للوعاء الصغير، فإنّ علينا أن نسأله سبحانه وتعالى، أن يُحلِّينا بِخُصَمِّ من الصَّبْرِ، ورحابة في الصِّدْرِ، ويغمرنا بروح التَّسامح مع الآخرين، الذين أرجو أن يتَّخذوا شعاراً لهم مطلع إحدى قصائدي:

ما في ابنِ صدري للأحقادِ مُتَّسَعُ      الناسُ كُلُّهُمُ في قلبي اجتمعوا

"ربِّ أوزعني أنْ أشكرَ نعمتكَ التي أنعمتَ عليّ"، ويسرُّ لي خدمة أمتي ولُغتي، وقوَّني على الدفاع عنهما، والتَّصدي لكلِّ مَنْ يُريد بهما سوءاً، "إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ".